سلطان ناجي

عدن، لم ينشر، 1981م

مقرر تاريخ اليمن القديم: نموذج مثالي لأزمة الثقافة في اليمن*

1ـ طلب مني مؤخراً مركز البحوث التربوية، بعد أن سلمني نسخة من مقرر تاريخ اليمن القديم للسنة الأولى ثانوي، مع ملاحظات مدرسي التاريخ في مدارس محافظة عدن، أن أبدي رأيي حول صحة الحقائق التاريخية كما وردت في المقرر و في ملاحظات مدرسي المادة أنفسهم. و قد وعدتهم بإعطاء الرأي بعد حوالي الأسبوع لانشغالي حينها في أمور أخرى. و عند تسلّمي النسخة من المقرر أخبرتهم بأنني في الحقيقة لم أطلع على المقرر من سابق و إنما أطلعت فقط على جزء منشور منه في مجلة الثقافة الجديدة ـ أكتوبر 1981م ـ بعنوان (حضارة و ثقافة اليمن القديم) و قد كتب تحته ما يلي : " جزء من مادة كتاب التاريخ المقرر على سنة أولى ثانوي من النظام الجديد ـ الثانوية الموسعة و الذي يعد المؤلف المساهم الرئيسي في تأليفه. و لأهمية الموضوع نعيد نشره ـ المحرر" . ثم أضفت قائلاً بأن مما لفت نظري في تلك المادة المنشورة جملتها الأخيرة التي جعلت من الإسلام عبارة عن (خلطة ملطة) ـ حسب تعبيري لهم ـ من الوثنية اليمنية و اليهودية و المسيحية. و هاكم نصها :

(لقد تركت الحضارة اليمنية القديمة بصماتها الواضحة على الحضارة الإسلامية. ففي أواسط شبه الجزيرة في بداية القرن السابع الميلادي بدأت بالظهور ديانة توحيدية مهمة خاصة نشأت با لإعتماد على الإختلاط الموجود بين أشكال الديانة القديمة لليمن القديم بالديانة اليهودية و المسيحية ، و قد أدى التطوّر اللاحق لهذه الديانة الجديدة و التي تشكل خليطاً و تداخلاً عضوياً بين اليهودية و المسيحية و الديانة القديمة لليمن القديم ، مكيفاً حسب الإحتياجات الإجتماعية للسكان المستقرين و الرحل في المنطقة ، أدى إلى ظهور دين عالمي جديد في منطقة أو اسط شبة الجزيرة العربية ـ الإسلام).

و قد فهمت منهم أنهم لم يكونوا يدرون بأن المادة قد نُشرت في مجلة (الثقافة الجديدة) و لكن على أية حال فقد وجدنا أن تلك الفقرة المنشورة موجودة بالفعل كآخر فقرة في نسخة المقرر ـ الذي لا يزال بالإستنسل ـ و الذي سُلّم لي.

2ـ وفي تلك الجلسة الأولى مع الأخوة المسئولين عن التاريخ و العلوم الإجتماعية في مركز البحوث التربوية، و اللذين أحضرا لي مقرر السنة الأولى ثانوي المذكور أعلاه، أخبرتهما بأنه قد سبق أن أطّلعت قبل أشهر على المقرر الجديد للسنة الثانية ثانوي حول (تاريخ اليمن في العصور الوسطى) وذلك بحكم أن إبنتي ـ أوسان ـ في سنتها الثانية و هو مقرر عليها و تدرسه. فعندما كانت تسألني عن بعض الحقائق كنت أجيب عليها دون الرجوع إلى المقرر لأنني أعتبرها من البديهيات، بل و أشعر أنها هي أيضاً تعرفها مما تعلمته في السنة السادسة إبتدائي على الأقل. و بعد أن أخبرتني أن المقرر الجديد يقول غير هذا، قمت بقراءته و بالفعل كدت أنفجر من الغضب و ألعن كاتب المقرر لأن مثل هذا العمل جريمة بحق أبنائنا و بناتنا في كل مدارس الجمهورية. فهو تحريف و حجب فظيع

لتاريخنا في هذه العصور الوسيطة. و قد أخبرت إبنتي ما عليها إلا أن تقبله ـ هو أو غيره ـ على علاته إذا أرادت أن تنجح. و قد أضفت لها قائلاً إن المقرر يحتاج إلى كتاب أو كتيب لتفنيد محتوياته فقرة فقرة. ثم ضربت لها مثلاً تعرفه و هو أنني مطلع هذا العام أضطررت أن أعد دراسة مكونة من (65) صفحة ـ فولسكاب ـ للرد على مقالة صغيرة منشورة في إحدى مجلاتنا حول أحداث 1948م، وقد أسميت الدراسة (ثورة 1948م : نموذج مثالي لتهافت النقد في اليمن) فما بالنا الآن و نحن نقف أمام قضية تخص آلاف من أبنائنا و بناتنا و كم سنحتاج للرد عليه.

و من الصدف الطيبة أنه في نفس ذلك اليوم (الهائج) ـ و كان يوم خميس ـ أن جاءني أحد الأخوة الوزراء فقمت أشكو له ما حدث. و في اليوم التالي كان الموضوع موضوع نقاش أمام مجموعة كبيرة من الأصدقاء و المسئولين ـ و كان بينهم وزير أيضاً. و قد أستغرب هياجي أثناء المقيل عند مجيئه. فلما أُخبر بالسبب قال إذن سنحاول دائماً أن نثيرك حتى تتكلم أثناء المقيل!! و الحقيقة أن الطلبة أنفسهم يستطيعون إكتشاف الأخطاء و التحريف و النواقص في المقرر من مقارنتهم فقط بما تعلموه في الكتاب الموحّد لمدارس اليمن في الصف السادس إبتدائي و الذي يغطي العصر الوسيط. فبينما كان من المفروض لهذا المقرر الثانوي أن يوسّع و يطوّر ما تعلموه في السنة السادسة إبتدائي، جاء على العكس ينسف و يحوّر، بل يبتر و يحجب ما تعلمه الطلبة في تلك المرحلة الأدنى.

..... إنني أرى نفسي ملزماً، علمياً و أدبياً، على الدفاع عن كل ما يمس المفهوم المادي، و أعلم أن هذا ليس سهلاً قط، و لكن، و طالما فتحنا الباب، فلنواصل المشوار. و ماهذه الدراسة إلا مساهمة في تثبيت هذا المفهوم المادي للتاريخ ستتلوها دراسات أخرى.

لقد كانت الإسهابة ضرورية و حتى نحدد أين نقف و أين يقفون، و حتى يمكن إيقاف التاريخ اليمني على قدميه و جعله يسير، بعد أن كان (مقلوباً على رأسه...)!

و نحن نرحب أن يكتب تاريخنا اليمني على أسس الإشتراكية العلمية الصحيحة، و أن يوجد بيننا يمني يفعل مثلما فعل ماركس بالنسبة للفلسفة الهيجلية و يوقف لنا تاريخنا اليمني على قدميه بعد أن كان مقلوباً على رأسه كما يزعم.

إلا أن السؤال يبقى هل صحيح أن هذا المقرر قد كُتب على أسس الإشتراكية العلمية أم على النقيض من ذلك و خاصة بعد أن وضّحنا بعض النماذج ـ و هي غيض من فيض ـ و بالذات ما يتعلق بما فعله واضع المقرر بالمادة المنقولة المحرّفة من أحد كبار علماء الإشتراكية العلمية المتخصص بالحضارة اليمنية.

.....

* نقد للمقرر الدراسي "تاريخ اليمن القديم" للسنة الأولى ثانوي من النظام الحديث ـ الثانوية الموسعة لما يحتويه من تحريف و حجب للحقائق.